أيمكن أن نعرف أي شيء عن يسوع؟

تأليف: تومي ثاوس

قد يسأل البعض: «أيمكن أن نعرف أي شيء حقاً عن يسوع؟»؛ «أليس تفسير ما جيد كأي تفسير آخر؟» لنوضح طبيعة استعلامنا هذا. السؤال الذي نطرحه هنا هو: «ما الذي نعرفه عن يسوع من الناحية التاريخية؟»؛ «ما هو نوع المعلومات الموضوعية المتاحة لمساعدتنا؟»

يمكن معرفة الحقيقة عنه

ينكر المتشككون اننا نستطيع معرفة أي شيء لأنهم يعتقدون انه ليس هناك ما سمى بـ«حقيقية موضوعية». لنبدأ من البداية بالقول انه يمكننا معرفة شيء عن يسوع: نعم، هناك ما يسمى بـ«الحقيقة الموضوعية» عنه.

توجد لوجهة النظر الموضوعية للواقع (أي أن بعض الأمور حقيقة جامعة ومعلومة) ثلاث ميزات أساسية:

(١) ما هي الحقيقة، أو ما هو الواقع—بغض النظر عن وجهة نظر الشخص عنه. أي بعبارة أخرى، الحقيقة هي حقيقة سواء كنا نعتبرها كذلك أو لا. على سبيل المثال، في ٢٠ يوليو من سنة ١٩٦٩ أصبح نيل أرمسترونج أول إنسان يسير على القمر، وتم الاحتفال بذلك الحدث في جميع أنحاء العالم كنجاح مذهل للتكنولوجيا الحديثة. مع أن معظم الناس يقرون بان هذا الحدث حقيقي، إلا أن البعض الآخر ينكرون حدوثه. بحلول سنة ١٩٧٦، أصبحت هناك بعض الكتب تقول أن ذلك الحدث كان بالحقيقة خدعة متقنة. تقول نظرية المؤامرة هذه أنه مستحيل علمياً لأي شخص أن يسير على القمر، وبان صور أو خطوات على القمر كانت مزورة بكل وضوح، وحتى «الحوادث» المفترضة التي أودت بحياة رواد الفضاء في السنوات اللاحقة، كانت بالحقيقة اغتيالات للتخلص من الذين كانوا يهددون بقول الحق عن كل ما حدث. هناك منظمة عالمية بها أناس بهذا الفكر ويتمسكون بان قصة المشي على القمر كانت خدعة دبرتها بذكاء حكومة الولايات المتحدة.

ليس هدفنا هنا أن نناقش ما إذا كان أرمسترونج قد سار على القمر أم لا. النقطة المراد توضيحها هي انه إذا كان قد مشى على القمر، إذن مهما ظن هؤلاء الناس أو مهما قالوا—هي حقيقة. وإن لم يكن قد مشى على القمر، إذن مهما ظن باقي الناس—لم يحدث ذلك الحدث المعلن. هذه واقعة.

(٢) الحقيقة أو الواقع تدعمه الأدلة. إذا كان الشيء حقيقة موضوعية، فالذين يساندوها قد يقدمون أدلة تساندها. قد يكون ذلك في شكل شهود عيان أو وثائق أو حُجَّة بخصوص معقوليته أو احتماليته. لا يعني هذا بالضرورة أن الأدلة مقنعة للكل، ولكن يكون هناك دائماً أدلة ما لدعم الحُجَّة. بما يختص بموضوع سير أرمسترونق على القمر، هناك وثائق ولقطات فيلم وشهادة الذين عملوا في ذلك المشروع. من الطبيعي اختبار دقة شهادتهم، والفكرة بانه يمكن اختبارها تدل على وجهة نظر موضوعية للواقع.

(٣) كل ما يتناقض مع الواقع (أو الحقيقة) يكون بالضرورة غير صحيح بالتضمين. إدعاءان مختلفان لا يمكن أن يكونا صحيحان كلاهما، عندما يتعلق الأمر بالأحداث التاريخية على الأقل. إذا كان أرمسترونج قد مشى على القمر، فالقول بانه لم يفعل ذلك يكون غير صحيح. وإذا لم يمشي على القمر، فالادعاء بانه فعل ذلك يكون غير صحيح.

والآن، ما هي علاقة يسوع بك هذا؟ إما انه كان هناك يسوع، أو لم يكن. إما انه ما تقول الدلائلانه هو، أو انه لم يكن كذلك. إما انه عمل ما تقوله هذه المصادر، أو لم يعمل. وجهات النظر المتضاربة عن يسوع لا يمكن أن تكون جميعها حقيقية. قد تكون لمختلف وجهات النظر بعض الحقائق المتداخلة؛ ولكن عندما يكون هناك إدعاءات معاكسة عن يسوع، يكون واحد منها أو أكثر غير صحيحة.

يمكن فحص الأدلة التاريخية عنه

لكي نتعلم ما قد نعرف عن يسوع، يجب أن نطرح أسئلة تاريخية في طبيعتها. لا ينبغي أن نردد فقط ما نظنه أو نحسه، أو ما سمعنا آخرون يقولونه. بل يجب أن نسأل عن الأدلة.

قد يسأل الشخص: «ولكن ألا يجب فحص مصادر الأدلة؟» طبعاً. نريد أن نفحص الأدلة، ونحن قادرين أن نفعل ذلك في عدة مناسبات. ما لا ينبغي أن نعمل هو التراجع إلى نوع من اللاأدرية[1] التي ترفض أن ترى ما هي الأدلة حقاً، وتفضل عوضاً عن ذلك أن تقول فقط: «لا نستطيع معرفة أي شيء عن يسوع». وهذا عدم الأمانة الفكرية وبليد!

هل تجيب الأدلة دائماً بصفة خاصة على الأسئلة التي نطرحها؟ هل ما زال هناك مجال للخِلاف؟ لا يمكن لأحد أن يقول أن السؤال عن يسوع ومحاولة الإجابة على أسئلة تاريخية عنه، ستخبرنا بكل ما نريد معرفته، أو يجيب على كل سؤال قد نطرحه. هكذا أيضاً لا يستطيع الاستفهام التاريخي بحد ذاته أن يبدد كل الشكوك أو يثبت من غير شك ما حدث حقاً أو ما قيل. ما قد يعمله وما سيعمله السؤال التاريخي النزيه هو إثبات حدوث المحتمل. أي بعبارة أخرى، عند البحث عن أجوبة تاريخية لأسئلتنا، نتوقع أن تشير الأدلة فقط إلى ما كان حدوثه محتملاً. بما يتعلق بيسوع، كان الناس يسألون عادة: «ألم يكن ممكناً ليسوع أن يذهب إلى الهند ويدرس التَصَوُّف الشرقي؟»؛ «ألم يكن ممكناً ليسوع أن يتزوج وينجب أولاداً؟» قد نجيب من حيث منظور تاريخي محدد بان نقول فقط «طبعاً كان ذلك ممكناً». ولكن السؤالين الحقيقيين هما: «هل يحتمل انه فعل هذه الأشياء؟»؛ «هل هناك أي أدلة تشير إلى أنه فعل كذلك، غير تخمينات الشخص أو تخيلات حية؟» كلا، لم يُحتمل ذلك، ولم تكن هناك أية أدلة.

افتقار الناس إلى المنظور التاريخي هو عادة السبب في الآراء غير الصحيحة عن يسوع. القصد من سلسلة هذه الدروس هو تشجيعك على التفكير عن يسوع بالمنظور التاريخي بدلاً من منظور الثقافات المختلفة التي تُقَدَّم الآن، أو حتى بمنظور افكارك ومشاعرك.

يمكن قبول الأدلة التاريخية عنه في الكتاب المقدس

إن كنت مسيحياً، ربما تتساءل الآن: «أين مكان الإيمان في هذا الحوار؟» هذا سؤال صحيح وهام. بما انني أيضاً مؤمناً فانا عندي صعوبة في إيجاد أجوبة لبعض الأسئلة، اسمح لي بتقديم النقاط التالية:

(١) الإيمان لا يخاف من التاريخ. لكي نبقى مع الحقيقة الموضوعية، ينبغي أن نهتم بما هو حقيقة. لستُ أعرف عنك، ولكنني لا أريد أؤمن بشيء غير صحيح عن يسوع لأن هذا الشيء جذاب أو معزي لي. إذا كان هناك سؤال تاريخي يبدد بعض من المفاهيم العزيزة علي، ينبغي أن أقبل ذلك. يكون إيماني أقوى وأنقى لأنه مبني على الحقيقة وليس على الوهم.

(٢) الإيمان الحقيقي الذي حسب الكتاب المقدس متأصل في التاريخ. أثبت إسرائيل في العهد القديم هويته كشعب الله الذي أخرجه الله من عبودية مصر. ما كانوا يؤمنون به هو ما حدث لهم كشعب. هكذا أيضاً كرز الرسل بيسوع بانه عاش ومات وقام من الأموات في زمان ومكان محدودين—ليس كـ«أسطورة دينية»، وليس كنزعة «عواطف مقدسة». ينبغي للمؤمن أن يعرف ما حدث ويسمح باعلام إيمانه ويتخذ له شكلاً بذلك.

(٣) الكتاب المقدس نفسه يمثل مزيج من الإيمان والتاريخ. لم يخبر كُتَّاب الكتاب المقدس بما حدث فحسب. بل فسروا أيضاً ما حدث وعبروا بما كان يعنيه ذلك بالنسبة لحياة المؤمنين. قد نتوقع أن لا تخبرنا سجلات العهد الجديد بما عمل يسوع فحسب، بل أن تفعل ذلك بطريقة تجعلنا مضطرين الى إتباعه. على كل حال، هذا هو السبب الذي كُتِبَت من أجله، كما يعترف به إنجيل يوحنا بكل صراحة (يوحنا ٢٠: ٣٠ و٣١). أثناء استعلامنا عن يسوع، وثم الجمع بين التاريخ والإيمان مقبول تماماً. من المستحيل بمفهوم ما ألا نجمع بين هذين الاثنين. حتى المؤرخ الأكثر «موضوعية» يتحدث عن تاريخ ما حدث بطريقة يضع شكلاً لرؤيتنا لذلك

[1] اللاأدرية: الاعتقاد بانه لا يمكن للعقل أن يدرك وجود الله وطبيعته وأصل الكون.

الحدث.

(٤) قبول أية أدلة هو عمل الإيمان إلى حد ما. هذا يعني ببساطة أنه ينبغي أن نثق في هذه المصادر. على سبيل المثال، لا يشك الكثير منا في أن يوليوس قيصر عاش أو بانه كان قائداً في روما القديمة. مع اننا لم نقابله أبداً، إلا اننا قد قررنا بوعي أو بغير وعي أن نقبل مصادر معينة (مثل الوالدين، والمعلمين، والكتب المدرسية) على انها مصادر صحيحة. وهكذا الحال أحياناً عندما يتعلق الأمر بالكتاب المقدس. إذا قررنا أن الكتاب المقدس جدير بالثقة، نميل إلى الإيمان بما يقول عن يسوع ونسمح له بان يجيب لنا على بعض الأسئلة التي لا يمكن الإجابة عليها من غير ذلك. وإن لم نكن نقبل الكتاب المقدس كمصدر معلومات موثوق به، فاننا سنشك في تعليم الكتاب المقدس عن يسوع ونكون منفتحين أكثر لقبول وجهات نظر أخرى عمن كان هو وما عمل. لا تنسى أن تطرح أسئلة عن كل الاحتمالات. الكتاب المقدس مصدر تاريخي مضبوط لمعرفتنا عن يسوع.

أرجو أن تقبل هذه الدعوة لطرح أسئلة أساسية لا بد من الإجابة عليها لمعرفة أي شيء على وجه اليقين عن يسوع. إن كنت مؤمناً أو لا، أرجو أن تبقى معي لترى إلى أين تقودنا الأدلة.

ما هو «سمينار يسوع»؟

ان «سمينار يسوع» «Jesus Seminar» هو إجتماع لمجموعة من الأشخاص - بلغ عددهم حوالي المائتي شخص، بما فيهم العلماء (معظمهم أميركيون)، الذين إتخذوا موقفاً سلبياً جداً عن الحقائق التاريخية والمثقة لأناجيل العهد الجديد. نظمه البروفيسور روبرت فانك في سنة ١٩٨٥. بدأت هذه المجموعة تجتمع لمناقشة عدة أجزاء من سجلات الإنجيل وتقييم صحتها. صوتوا على كل من أقوال يسوع واستخلصوا أن يسوع قال حوالي ١٨ بالمئة فقط من الأقوال المنسوبة إليه. نُشر ما توصلوا إليها من نتائج في سنة ١٩٩٣ في كتاب اسمه «The Five Gospels: The Search for the Authentic Words of Jesus». صدر بعد ذلك كتاب آخر اسمه «The Acts of Jesus: What Did Jesus Really Do?» وقد وردت به خلاصات سلبية مماثلة بما يختص بأعمال يسوع كما تم تدوينها في الأناجيل.

تم الاعلان بالتصويت عما بحث في «ندوة يسوع»، ونشر في الصحف الرئيسية والمجلات وعلى التلفاز. ونتيجة لذلك أثروا على التفكير الشعبي عن يسوع و الأناجيل.

في ما يلي بعض الانتقادات التي وُجِهَت إلى «ندوة يسوع»::

- مبدأ عملهم كان هو أن «يسوع التاريخي» (من كان يسوع حقاً) و«مسيح الإيمان» (أي يسوع كما يؤمن به المسيحيين) لا أن يكونا الشخص نفسه. ولكن بالحقيقة قد يكون هذان الاثنان هما شخص واحد.
- يصرون على أنه توجد خلفية لأقوال يسوع وأعماله في الهيلينية بدلاً من اليهودية القديمة مع أن يسوع كان يهودياً عاش في القرن الأول.
- يستخدمون منهجية تاريخية غير محَكَّمَة. (على سبيل المثال، يقول السفر غير المعتبر ضمن أسفار العهد الجديد المعترف بها «إنجيل توما» ربما يمثل شكلاً مبكراً لكتابة الإنجيل أكثر من تلك الموجودة في العهد الجديد. مع أنه لا يمكن تأريخ «إنجيل توما» إلى ما قبل القرن الثاني الميلادي. انهم يعتبرون هذا بانه الإنجيل الخامس).
- يستخدمون «معيار الاختلاف» كعامل رئيسي لتحديد صحة الأقوال المنسوبة إلى يسوع. هذا يعني انه إذا قيل أن هناك شيء قاله يسوع ويبدو وكأنه لم تؤمن به اليهودية القديمة أو الكنيسة المبكرة، ينبغي التغاضي عنه. تؤدي هذه الوسيلة إلى الخلاصة الغريبة أن يسوع ومعاصريه من اليهود وحتى أتباعه يتفقون على القليل فقط.
- يستخلصون أن يسوع لم يكن ولم يقل أبداً انه مسيا إسرائيل أو ابن الله، بل كان فيلسوف متجول معروف بلطفه وقصصه. يسوع الذي أعاد هذه الندوة تركيبه يؤدي إلى السؤال عن كيفية بيان اسباب صلبه. ولكن حقيقة موته بالصلب مشهود لها من قبل الكُتَّاب القدماء في كل من العهد الجديد وخارج العهد الجديد.

كان منظموا «سمينار يسوع» يعتقدون منذ البدء أن يسوع ليس ما يقول كُتَّاب الأناجيل عنه، فخلقوا المنهجية التي تضمن انهم سيصلون إلى تلك الخلاصة. بغض النظر عن هذا الادعاء، لا يمكن اعتبار جهودهم معرفة موضوعية.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠